

المحاضرة الثانية : لسانيات دي سوسير

أولا- نبذة عن حياة فرديناند دي سوسير F.De Saussure
(1857/ 1913م)



ولد دي سوسير في جنيف سنة 1857 م في بيت شريف امتاز فيه أكثر أفراده في العلوم الدّقيقة والطّبيعيّة (وكان لذلك أثر في تكوين دي سوسير). درس دراساته الثّانوية حتى بلغ السّابعة عشرة، وها هنا أظهر ذوقا عميقا للدراسات اللّغويّة.

دخل الجامعة وتابع فيها دروسا في مختلف العلوم لشدة تعطّشه إلى العلم، وكان في الآن نفسه يميل إلى الرياضيات وعلوم اللّسان.

وفي سنة 1879 م قرّر مصيره بذهابه إلى ليبستيتش والتحاقه بحلقة اللّغويين الألمان. وعلى الرّغم من إعجابه بعلم الألمان وبدقّتهم وتشدّدهم في

إثبات الأحداث إلا أنّ طبعه الدّي ركب عليه عدم اطمئنانه ازاء الأقوال الجازمة وشموليّة ميوله العقليّة، وصبوته إلى الكمال في جميع أعماله، جعله لا ينسجم بهؤلاء الشّبان الألمان.

في سنة 1878م أنهى تحرير الرسالة المسماة برسالة في النّظام الأصلي للمصوتات في اللغات الهندية الأوروبية ونال بها في زمانه شهرة عظيمة. وبعدها بسنة قدم أطروحته المسماة بـ " حالة الجر المطلق في اللغة السنسكريتية" في سنة 1880 انتقل إلى باريس واستقر بها إلى 1891م، وعرض عليه بريال - بعد أن لاحظ فيه النبوغ العجيب- أن يحل محلّه في مدرسة الدّراسات العليا، فحضر دروسه في أثناء مقامه كل الجيل تقريبا الدّي سيشتهر في اللّسانيات بعد ذلك في فرنسا. وفي كل هذه المدّة لم يعتن في تلك الدّروس إلا بالنحو المقارن والتاريخي.

في سنة 1891م قرر الرّجوع إلى جنيف وأنشأ في جامعتها كرسي التاريخ المقارن للغات الهندية الأوروبية، وبقي شاغلا لها إلى سنة 1896م ثم توارى عن أنظار النّاس .

وفي سنة 1907 م بعد أن ألح عليه طلبته وسألوه أن يعرض عليهم أفكاره في اللّسانيات العامة التي لطالما كان يحدّثهم عن أهميّتها فوعدهم بذلك ورجع إلى التّدريس. ووفي بما وعدهم فانهالوا عليه بالسؤال الكثير، وكتبوا كل ما كان يقول بعناية شديدة لجدة ماكانوا يسمعون منه ولاستلابهم أيضا بقوة استدلاله وفصاحة كلامه ومهارته في التلقين.

وبعد وفاته سنة 1913 م عمّد طلابه إلى تدوين ما قدّمه أستاذهم في اللّسانيات العامة بما تحمله من مستجدات في كتاب أسموه Les Cours De La Linguistique Générale والذي ترجم إلى العربي بـ " محاضرات في اللّسانيات العامة".

ثانيا- اللّسانيات موضوعها ومادّتها

1- موضوع اللّسانيات:

" إن موضوع الدّراسة اللّساني الوحيد والحقيقي هو: اللسان في ذاته ومن أجل ذاته."

2- مادّة اللّسانيات :

لسانيات دي سوسير.....د/ إ. زريق

" إنَّ الألسنيّة تتكون بادئ ذي بدء من جميع مظاهر الكلام البشري، سواء تعلق الأمر بكلام الشّعوب المتوحّشة أو الأمم المتحضّرة، في العصور العتيقة أو الكلاسيكيّة أو في عصور الانحطاط. والمعتبر في كل عصر من العصور، ليس الكلام الصحيح والكلام الأدبي فقط. ولكن جميع أشكال التّعبير. وليس ذلك كل ما في الأمر. إذ إنه لما كان الكلام [المنطوق] يفلت في أغلب الأحيان عن الملاحظة، فإنّه يتعيّن على الألسني أن يقرأ أيضا حسابا للنصوص المكتوبة؛ لأنها هي وحدها التي هي وحدها التي تمكّنه من أن يفرق الألسن القديمة أو النائيّة."

ثالثا- خصائص اللسان البشري:

إنّ الدليل جمع الأدلة فمعناه العام والمتداول يبيّن أنّ عنصر "أ" يدلّ على عنصر "ب" أو ينوب عنه؛ لكن هذه الدلالة أو التعويض يمكن أن يحمل نيّة للتبليغ، وهذا الاعتبار يميّز بين العلامة والمؤشر أو الإشارة، نمثل للمؤشر أو الإشارة بأعراض المرض التي تساعد الطبيب على تشخيص الداء، وكذا السحب الكثيفة السوداء التي تنذر بالمطر والبرق والرعد اللذين يندران باقتراب العاصفة...إلخ، فكل هذه الدلالات ل توضع لا قصدا ولا عمدا، هي موجودة بالطبع لتدل على وجود أو وقوع الظاهرة.

1- اعتبارية العلامة اللغوية:

بما أنّ الرابط بين الدال والمدلول اعتباري، فقد عدّ دي سوسير العلامة اللّغوية اعتباريّة ودليله في هذا أنّ فكرة أخت (sœur) لا ترتبط بأية علاقة داخلية مع تعاقب هذه الأصوات (أ - خ - ت) التي تقوم مقام الدال بالنسبة إليها، وحجّته عن إمكانها تمثيل هذه الفكرة بأي تعاقب آخر يستمدّها من الاختلافات القائمة بين اللغات ومن وجود لغات مختلفة أيضا.

2- الخطية

ليس للدليل اللغوي وركيزته المادية الصوت إلا بعد واحد وهو بعد خط الزمن، فهو يتسلسل عند إحداثه تسلسل الزمن في خط واحد أفقي نسّميه في اصطلاح أهل الاختصاص مدرج الكلام.

3- القيمة اللغوية

إنّ اللّغة في نظر دي سوسير لا يمكن أن تكون إلا نظاما من القيم المجرّدة، وتكمن قيمة الكلمة في خاصيّتها التي تمكّنها من تمثيل فكرة معيّنة . وقد جاء اللساني بمفهوم القيمة من الاقتصاد، حيث ذهب إلى أن قطعة خمسة فرنكات لا يتمّ تحديدها إلا بمعرفة أنه يمكن تبديلها بكميّة محدّدة من شيء آخر كالخبز مثلا، أو مقارنتها بقيمة مماثلة من النظام ذاته كقطعة فرنك واحدة، أو بقطع نقود من نظام آخر كدولار واحد مثلا. وبهذه الطريقة يمكن تدليل كلمة بشيء مغاير كفكرة ما أو تشبيهها بشيء من طبيعة واحدة ككلمة أخرى مثلا. إن قيمة الكلمة ليست ثابتة مادام يمكن تبديلها بتصور معيّن أي بدلالة أو بأخرى، ولا يتحدّد مضمون الكلمة تماما إلا بتواجد كينونات أخرى خارجة عنها، ولكونها جزءا من النظام فإنها لا تتمتع بدلالة فحسب بل بقيمة أيضا.

4- التقطيع المزدوج: الميزة الأساسية لكل الألسن البشريّة؛ إذ إن الألسن البشريّة تتقطّع إلى مستويين:

أ- المستوى الأول: وهو مستوى الوحدات اللّغوية الدالة على معنى (مونيّمات / مورفيّمات)

ب- المستوى الثاني: مستوى الوحدات اللّغوية غير الدالة على معنى (سلسلة الوحدات الدنيا / الفونيّمات).

رابعا- ثنائيات دي سوسير

1-الآنية والزمانية: Diachronique / Synchronique

اللسانيات هي الدراسة العلمية للسان البشري

اللسان ← الدراسة الآنية: دراسة البنية اللغوية في آن معين

الدراسة الزمانية: دراسة التحوّلات التي تطرأ على هذه البنية في فترات متعاقبة.

الكلام ← التأدية الفردية لهذا النظام.

2- اللسان والكلام: Langue/ Parole

اللسان: كثر اجتماعي من الوحدات والقوانين تمثل نظاما عاما لا يمكن للفرد أن يحيد عنه. فإذا طلبنا من أي إنسان متعلم أن يصرف الفعل كتب مع جميع الضمائر في الماضي أو المضارع، فإنه يحاول جاهدا أن يتبع قواعد التصريف المتعارف عليها دون إلحاق أي تغيير بالنظام العام.

الكلام: هو فعل كلامي ملموس، ونشاط شخصي مراقب يمكن ملاحظته من خلال كلام الأفراد أو كتاباتهم.

3- الملكة والمؤسسة:

"إن تفرقة دي سوسير بين اللسان من حيث هو مؤسسة عامة تشترك فيها الجماعة، وبين الكلام من حيث هو إنجاز فردي ساعده على إدراك قدرة أو ملكة لدى الفرد تمكنه من استخدام اللغة، يقول في هذا الشأن: "يوجد لدى كل فرد ملكة يمكن أن نطلق عليها اسم ملكة الكلام المقطع، وتقوم هذه الملكة على أعضاء، ثم ما يمكن أن تحصل عليه من عملها، ولكنها لا تعدو أن تكون ملكة، وتتعدّد ممارستها واستعمالها بصورة ملموسة إلا متى توقّر للمرء أمر آخر من الخارج هو اللسان."

4- الصورة (الشكل) والمادة: Substance/ Forme

"يميز دي سوسير بين المادة التي تبنى عليها اللغة وهي الأصوات والمتصورّات (المعاني)، وبين ما يمثل قوام اللغة، ويريد به الشكل الذي تتشكل بمقتضاه الأصوات والمعاني. والحدث اللغوي في تقديره لا يجري في مستوى واحد من هذين بمفرده، بل يجري في مستوى اقترانهما وتشكّلهما، وقد عدّ الصورة الناتجة عن اقتران هذين العنصرين: جوهر اللغة."

5- الدال والمدلول: Signifie/Signifiant

العلامة وحدة أساسية في عملية التواصل بين أفراد مجتمع معين، وتضم جانبين أساسيين هما: الدال والمدلول، فالدال هو الصورة السّمعية التي تدل على شيء ما ... والمدلول هو التصور أو الشيء المعني.

6- التركيب والاستبدال / محور التركيب ومحور الاستبدال Axe Paradigmatique/ Axe

Syntagmatique

العلاقات التركيبية: يتمثل هذا النوع في العلاقات الأفقية بين الوحدات اللغوية ضمن السلسلة الكلامية الواحدة، كالعلاقة بين أصوات الكلمة الواحدة وكلمات الجملة الواحدة، وتضفي كل وحدة معنى إضافيا على الكل.

لسانيات دي سوسير.....د/إ. زريق

العلاقات الاستبدالية: يطلق هذا المصطلح على العلاقات الاستبدالية بين الوحدات اللغوية التي يمكن أن
تحل محل بعضها بعض في سياق واحد. وبعبارة أخرى؛ فإنها تعكس علاقات موجودة بين علامة في جملة ما وعلامة
أخرى غير موجودة في الجملة أصلا بل موجودة في أذهاننا طبعاً.

د. إ. زريق